# سـورة المـاعـون "دراسـة بلاغيـة"

*د.محمد أبوشعالة صالح

**المستخلص:** يتناول البحث واحدة من قصار سور القرآن الكريم ، وهي سورة الماعون بالوقوف أمام نصها الكريم وتدبره، وتجلية ما احتوته هذه السورة الكريمة من ظواهر بلاغية ، ولقد اعتمد الباحث في بحثه على المنهج التحليلي ، وخلصت الدراسة إلي عدة نتائج أهمها :1. أسهمت الفنون البلاغية المختلفة في إيصال مضامين السورة ومقاصدها بشكل عميق 2. من أعظم فوائد هذه السورة أن من فرط في حق الخالق فلا بد أن يفرط في حق خلقه.

**المقدمـة:**

أنزل الله كتابه المجيد بأحسن أسلوب، وقد جاء البحث ليعطي إضاءة حول سورة عظيمة من قصار المفصَّل، مبيناً فيه ما استنبطه العلماء من آياتها وتدبرها لاستشفاف ما يمكن بلاغتها، وتجلية ما احتواه من ظواهر بلاغية، وإظهار مدى إسهام هذه الظواهر في احتضان مقاصد السورة وصورها المختلفة، وكذلك إسهامها في التأثير على المتلقّي وتحقيق أهداف الدعوة القرآنية، وقد حاول البحث التأكيد على أن الفنون البلاغية ليست فنونا تجريدية لذاتها وإنما هي جزء من بناء النص لها أهدافها ودلالاتها، ولا سيَّما في النص القرآني، حيث توظف الصور البلاغية لخدمة المعاني، ولم نعمد إلى تقسيم البحث إلى محاور، وإنما جاء لحمة واحدة على سبيل المنهج التحليلي الذي يقف أمام مكنونات النص ليوصل القارئ إلى روافد الجمال والمعاني، وهو بهذا يقترب من بعض أسرار النص وبلاغته المعجزة معتمداً في كل ذلك على المدونات التفسيرية وكتب اللغة والبلاغة، وقد كانت سورة الماعون موضوعا للبحث كونها تعرض صورة الكفار والمنافقين وجزءاً من صفاتهم، وتهدف من خلال معانيها الثواني إلى تحذير المسلمين مما في الصورتين، فضلا عن أنها قد تواشجت فيها الفنون البلاغية على نحو متناغم، فكانت لوحة كاملة يحتاج المتلقي إلى مفاتيح للدخول إلى عالمها الواسع العميق، فكانت الظواهر البلاغية هي المفاتيح التي تبقى معها السورة تحمل إعجازها المستمر مع الزمان والمكان.

**وتنقسم الدراسة إلى مبحثين هما:**

- المبحث الأول: مدخل إلى سورة الماعون ويتضمن: –

ا – التعريف بالسورة، واسمها، وأسباب نزولها، وهل هي مكية أو مدنية ؟

ب – مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها، وفضلها، ومقاصدها.

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة سرت dr.mohmedsirte2022@gmail.com

ج – الفوائد المستنبطة من الآيات.

- المبحث الثاني: الأسرار البلاغية في السورة من خلال الوقوف عند أبرز جماليات التعبير القرآني فيها ونأمل تراكيبها وأساليبها، والكشف عن دلالتها وما تؤديه من معان ومقاصد بلاغية.

نص السـورة:-

**بســـم الله الرحمن الرحيـــم**

**{ أَرَأَيْتَ اَلَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ(1) فَذَلِكَ اَلَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ(2) وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ(3) فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ(4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ(5)الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُون (7)} .**

**تــوطئـة:**

يتناول البحث سورة الماعون (**الشوكاني، 673/5**)، وهي سورة مكية في بعض الروايات، ومدنية في أخرى، ومكية ومدنية في روايات أخرى (**الاندلسي،517/8**)، فآياتها الثلاث الأولى مكية، والأربع الأخرى مدنية، وهذا هو الأرجح، والسورة كلها وحدة متماسكة ذات اتجاه واحد لتقرير حقيقة من حقائق هذه العقيدة، وعدد آياتها سبع، وروي أنّ أوّلها نزلَ في العاص بن وائل السهمي، وقيل في الوليد بن المغيرة.

وقيل في عمرو بن عائذ، وقيل في أبي سفيان بن حرب بسبب أنه كان ينحر كل أسبوع جَزوراً فجاءَهُ مرة يتيم فسأله من لحمها فقرعه بعصا، وقيل في أبي جهل كان وصيّاً على يتيم فأتاه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفَعه دفعاً شنيعاً، وقيل في رجل من المنافقين (**الاندلسيو اخرون،517/8**).

ولهذه الروايات في أسباب النزول أهمية كبيرة في إضاءة أسلوب السورة، كما أنّها تُجلّي صورة الكافر وصورة المنافق، إذ ترتبط الثانية بالأولى في نظمٍ مُعجِز بُنِيَ على (حُسن ابتداءٍ وحسن تَخلّص وحُسن انتهاء)، فالسورة – وهي تعرض بعضاً من صفات الكافر وصفات المنافق – تهدف إلى تحذير المسلمين مما في الصورتين من صفاتٍ توعَّدَ الله من اتصَفَ بها بالويل والهلاك والخُسران(**رمضان ، 1998 : 200**) .

وتضئ لنا أسباب النزول أيضاً ظواهر بلاغية وأسلوبية تشكّلت في نسيج السورة (**رمضان ، 1998 : 200**)، فالتشويق الذي يُحدثه الاستفهام يُشكّل تنبيهاً على أن الذي يُكذّب بالبعث والنشور والجزاء لا تخفي على الله ورسوله والمسلمين صفاته، فيَفتَضَحُ أمرُهُ، وتُعلَنُ صفاته التي خَلت من الإنسانية في موضع يتطلّبها، وخَلت مما لا يحتاج – في الاتصاف بها – إلى دينٍ أو عقيدة،

فهي صورة الكافر الجاحد لِنعم الله، المكذّب بيوم الحساب والجزاء، وقد عرضت السورة – من صفاته الذميمة – أنه يهين اليتيم ويزجره غِلظةً لا تأديباً، ولا يفعل الخير حتى ولو بالتذكير بحقّ المسكين، فلا هو أحسن في عبادة ربّه، ولا أحسن إلى خلقهِ ، وهكذا وصفَ

التعبير القرآني – هذا المكذب – بأوصافٍ كان المسلون منها في غاية النّفرة ، وصوّره بأشنع صورةٍ بَعثاً لهم على التصديق ، وزجراً عن التكذيب ، وتحذيرا من التشّبه والتقليد بأصحاب الرذائل .

وكذلك عرضت السورة صورة المنافق بإسلوبٍ تتواشج فيه الفنون البلاغية لتُجلّي صورة المنافق في مُراءاته، وفي انفصال ظاهر أعماله عن بواطنها، حيث صلاته التي لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر، ولا تأمره بفعل الخيرات، فَتُضَحُ مُراءآته إذ لا يقصد بعمله وجه الله، غافل عن صلاته، لا يؤديها في أوقاتها، وإذا قام بها كانت (صورة) لا (معنى).

وتلتقي صورنه القبيحة وهو (يمنع الماعون) بصورة الكافر الذي ذُكِر في أول السورة وهو (لا يحضّ على طعام المسكين) بما يُشبه رَدّ العجز على الصدر، فمقصود السورة التنبيه على أنّ التكذيب بالبعث والجزاء أصل الخبائث إذ يُجرئُ المكذّب على مساوئ الأخلاق ومنكرات الأعمال حتى تكون الاستهانة بالعظائم خلقاً له، فيصير ممّن ليس له خلاق.

ونحن إذ نحلل السورة بلاغياً فإننا ننظر إلى الظواهر البلاغية في نسيج السورة بوصفها لوحة كاملة، ننظر إليها نظرة تحليلية شاملة تتداخل فيها الفنون البلاغية في بنية السورة، وهي تعمل على إيصال الأفكار والمعاني إلى المتلقي بحيوية وقوة تأثير (**رمضان ، 1998 : 200**) .

إن الدراسة التحليلية لَتحاول الوقوف على مكنونات النص من فنٍّ وجمال بما يثري الفكر والشعور، ويقف بالمتلقي على روافد الجمال والذوق في تلقّيه المعاني (**رمضان ، 1991 : 237**)، وما أحوجَ الدرس البلاغي لهذا المنهج الذي يقترب من أسرار النص ذوقاً وعلماً وفنّاً وجمالاً، ((فقد نكون عرفنا البلاغة علماً وثقفناها صناعةً ومنطقاً، غير أننا ما نزال في أشد الحاجة إلى أن نحتليها ذوقاً أصيلاً وحسّاً مرهفاً في آيات الفصاحة العُليا والبيان المِعجز)) (**عبدالرحمن، 1971 م : 221**) .

ولا شك في أن الظواهر البلاغية في أيّ نص أدبي سيَّما النص القرآني ما هي إلاّ دلائل استكشاف لمناحي الفن والجمال الكامن في بنيته، وما هي في نظر البحث– إلاّ مفاتيح للدخول إلى عالم السورة الواسع العميق على الرغم من حجم مساحة السورة التي لا تتجاوز سبع آيات، مفاتيح تبقى معها السورة تحمل إعجازها المستمر مع الزمان والمكان (**رمضان، 200 – 201**).

## المبحث الأول: مدخل إلى سورة الماعون

**أ – التعريف بالسورة :–**

"اسمها : سورة الماعون ويقال لها سورة الدين وسورة اليتيم، وهي سورة مكية، من المفصّل، وآياتها سبع، وكلماتها خمس وعشرون، وترتيبها في المصحف مائة وسبعة في الجزء الثلاثين، وحروفها مئة وخمسة وعشرون حرفاَ.

**أسماء السورة وسبب التسمية:**

سميت هذه السورة في كثير من المصاحف وكتب التفسير بـ"سورة الماعون "، وهذا هو الاسم التوفيقي لها، وسميت بذلك لورود لفظ الماعون فيها دون غيرها (**ابن عاشور،30/ 563**).

وقد اجتهد المفسرون في تسمية هذه السورة بأسماء منها : –

**أولاً**: ( أرأيت ) أو (أرأيت الذي يكذب) (**الطبري واخرون**) .

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : أنزلت{أرأيت الذي يكذب} بمكة، وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير مثله (**السيوطي، 8 / 641**).

وسميت بأول آية فيها أو بأول لفظ فيها اختصاراً (**الدوسري، 606**)، وذلك نسبة إلى مطلع السورة.

**ثانياً**: سورة ( الدِّين ) (البقاعي و آخرون) .

وسميت بذلك لورود لفظ (الَّدين ) في أول آية منها: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّين} .

**ثالثاً**: سورة (اليتيم) (**البقاعيوالشوكاني**) .

وسميت بذلك لورود لفظ اليتيم فيها؛ وذلك في قوله تعالى: {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيم}.

وذلك نسبة إلى اليتيم الذي نهره أبو سفيان.

**رابعاً**: سورة (التكذيب) (**الخفاجي وآخرون**) .

وسميت بذلك لورود فعل التكذيب فيها ؛ وذلك في قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبً بِالدِّين} .

وذلك نسبة إلى ذكر صفات من يكذبون بيوم الدين في السورة.

**سبب نزولها : –**

اختلف المفسرون في سبب نزول هذه السورة على أقوال :

قال مقاتل والكلبي: نزلت في العاص بن وائل السهمي ( **البغوي،8 / 549**)، وقال عطاء عن ابن عباس في رجل من المنافقين (**البغوي،8 / 549**) .

وقال ابن جريح: كان أبو سفيان بن حرب ينحر كل أسبوع جزورين، فأتاه يتيم فسأله شيئاً، فقرعه بعصا، فأنزل الله تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّين * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيم} (**الواحدي ، 493**).

وقيل: نزل نصفها الأول بمكة ونصفها الثاني بمكة في العاص بن وائل، ونصفها الآخر في المدينة في عبدالله بن أبي سلول (**القنوجي ،15 / 401**) .

وهذه كلها آثار مرسلة، وحكم المراسيل أنها لا تقبل في مثل هذا (**داود ، 46**) .

*هل سورة الماعون مكية أم مدنية ؟

اختلف المفسرون في سورة الماعون هل هي مكية أم مدنية على أقوال:-

**الأول**: أنها مكية كلها، وهو قول جمهور العلماء، ومنهم عطاء وجابر وأحد قولي ابن عباس (**السيوطي ، 6 / 682 و ابن الفرس، 3 / 626**) .

**الثاني**: أنها نزلت في المدينة، وهو قول قتادة وغيره (**السيوطي ، 6 / 682 ) و ابن الفرس ، 3 / 626**).

**الثالث**: أن نصفها مكي والنصف الآخر مدني ، وهو القول الثاني لابن عباس وقول قتادة وغيره (**ماتريدي، 10 / 622**) .

والذي يترجح هو القول الثالث لأمور منها :-

1 – بالنظر إلى معاني الآيات نجد أن النصف الأول من السورة يتحدث عن صفات المكُذّب بالدين وهذا ما كان ظاهراً في مكة، وأما النصف الآخر فيتحدث عن صفات المنافقين من السهو عن الصلاة والرياء ومنع الماعون والنفاق لم يظهر إلا في المدنية (**تأويلات أهل السنة ، 10 / 622 و السمعاني ، 6 / 288**) .

2 – أن هذا القول هو أحد قولي ابن عباس رضي الله عنه .

3- أن هذا القول هو اختيار بعض المفسرين ومنهم: الطبري والخازن وابن عاشور، ورجحه سيد قطب في الظلال (**لسيدقطب، 6 / 3984**) .

ب – مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها: -

مناسبة السورة لما قبلها:-

سورة الماعون من سور المفصَّل، وعلى ترتيب المصحف السابعة بعد المائة من سور القرآن الكريم، وتأتي سورة قريش قبلها، وقد بين العلماء أوجه المناسبة بينها وبين سورة قريش.

يقول البقاعي: "أنه لما أخبر سبحانه وتعالى عن فعله مع قريش من الانتقام ممن تعدى حدوده فيهم، ومن الرفق بهم بما هو غاية في الحكمة، فكان معرفاً بأن فاعله لا يترك الناس سدى من غير جزاء، وأمرهم آخر قريش بشكر نعمته بإفراده بالعبادة، عرفهم أول هذه – أي سورة الماعون – أن ذلك لا يتهيأ إلا بالتصديق بالجزاء الحامل على معالي الأخلاق الناهي عن مساوئها، وعجب ممن يكذب بالجزاء مع وضوح الدلالة عليه بحكمة الحكيم، ووصف المكذب به بأوصاف هم منها في غاية النفرة، وصوّره بأشنع صورة بعثاً لهم على التصديق وزجراً عن التكذيب (**البقاعي، 22 / 275– 276**) .

وذكر الألوسي وجهاً آخر فقال: " ولما ذكر سبحانه في سورة قريش{أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ} [قريش: 4]ذم عز وجل هنا من لم يحض على طعام المسكين ولما قال تعالى هناك{فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْت} [قريش: 3]ذم سبحانه هنا من سها عن صلاته أو لها عدد نعمة الله تعالى على قريش وكانوا لا يؤمنون بالبعث والجزاء أتبع سبحانه امتنانه عليهم بتهديدهم بالجزاء وتخويفهم من عذابه (**الألوسي ، 15 / 474 و المراغي ، 30 / 247**) .

**مناسبة السورة لما بعدها :–**

تأتي سورة الكوثر بعد سورة الماعون في ترتيب المصحف ووجه المناسبة بينهما كما يقول البقاعي: " أنه لما كانت سورة الدين بإفصاحها ناهية عن مساوئ الأخلاق، كانت بإفهامها داعية إلى معالي الشيم، فجاءت الكوثر لذلك، وكانت الدين قد ختمت بأبخل البخلاء وأدنى الخلائق، المنع تنفيراً من البخل ومما جره من التكذيب، فابتدأت الكوثر بأجود الجود ... العطاء لأشرف الخلائق ترغيباً فيه وندباً إليه ، فكان كأنه قيل : أنت يا خير الخلق غير متلبس بشيء مما نهت عنه تلك المختتمة بمنع الماعون (**البقاعي ، 22 / 287**).

وقال ابن الزبير الغرناطي: " لما نهى عباده عما يلتذ به من أراد الدنيا وزينتها من الإكثار والكبر والتغرر بالمال والجاه وطلب الدنيا، أتبع ذلك بما منح نبيه مما هو خير مما يجمعون وهو الكوثر"(**الغرناطي ، 379**) .

**فضل سورة الماعون : –**

لم يرد في فضل سورة الماعون حديث صحيح صريح، ولكن سورة الماعون من سور المفَصَّل الذي ورد في فضله حديث واثلة بن الأسقع الليثي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أُعطِيتُ مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور

المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلتُ بالمفصَّل) (**أحمد ( 28 / 188 ) والطيالسي ( 2 / 199 ) ، والطحاوي ( 3 / 409 ) ، والبيهقي ( 4 / 71 )**) .

**مقاصد السورة :**

حوت سورة الماعون على مجموعة من المقاصد الجليلة بيَّنها المفسِّرون ومنهم البقاعي إذ يقول في مقصودها: "التنبيه على أن التكذيب بالبعث لأجل الجزاء، أبو الخبائث، فإنه يجزئ المكذب على مساوئ الأخلاق، حتى تكون الاستهانة بالعظائم خلقاً له، فيصير ممن ليس له خلاق وكل من أسمائها في غاية الوضوح في الدلالة على ذلك ، بتأمل السورة لتعرف هذه الأشياء المذكورة ( **البقاعي، ( 22 / 275 )والبقاعي، ( 3 / 253 )**).

وفي هذا توكيد لتقريرات قرآنية سابقة، ولحكمة الله التي جعلت للحياة الدنيا تتمة في حياة أخرى لجزاء كل امرئ بما عمل، كما أن فيه مظهراً من مظاهر حكمة التنزيل في تكرار الإنذار بالحياة الأخرى وجعل الإيمان بها ركناً من أركان الإسلام .

ومن مقاصدها التعجيب من حال من كذبوا بالبعث وتفظيع أعمالهم من الاعتداء على الضعيف واحتقاره والإمساك عن إطعام المسكين ، والإعراض عن قواعد الإسلام من الصلاة والزكاة لأنه لا يخطر بباله أن يكون في فعله ذلك ما يجلب له غضب الله وعقابه (**ابن عاشور ، 30 / 564**) .

ج – الفوائد المستنبطة من سورة الماعون : –وتشتمل على مطلبين :

المطلب الأول: قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّين * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُّ الْيَتِيم * وَلاَيَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِين } ، وفيه مسألتان ...

**المسألة الأولى: التفسير الإجمالي للآيات:**

فاتحة السورة في هذه الآيات الكريمات حيث يقول تعالى ذاماً لمن ترك حقوقه وحقوق عباده؛ {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّين} أي : بالبعث والجزاء، فلا يؤمن بما جاءت به الرسل، {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيم} أي: يدفعه بعنف وشدة، ولا يرحمه لقساوة قلبه، لأنه لا يرجو ثواباً، ولا يخشى عقاباً {وَلاَ يَحُضُّ} غيره {عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِين} ومن باب أولى انه بنفسه لا يطعم المسكين (**السعدي 935**) .

**المسألة الثانية : الفوائد المستنبطة من الآيات:**

الآية الأولى : قوله تعالى : { أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّين } .

- قوله (أَرَأَيْتَ): هل عرفت، وقيل: (أخبرني) (**الفراء** ( **3 / 294** ) ، **الزمخشري** ( **4 / 804** ) **و أبو حيان** ( **10 / 552**)، ويجوز أن يكون (أرأيت) من رؤية العين فلا يكون في الكلام حذف، وأن يكون من رؤية القلب فيكون التقدير: أرأيت الذي يكذّب بالدين بعد ما ظهر له من البراهين أليس مستحقاً عذاب الله (**النحاس** ، **5 / 186**) .

- وهمزة الاستفهام تدل على التقرير والتفهيم ليتذكر السامع من يعرفه بهذه الصفة (**أبو حيان** ( **10 / 552** ) **وأبو السعود** ( **9 /203**)

- الاستفهام هنا يراد به إلفات الأنظار والعقول إلى هذا الإنسان الذي يكذب بالدين.

إنه إنسان عجيب، لا ينبغي لعاقل أن يفوته النظر إلى هذا الكائن العجيب وتلك الظاهرة

النادرة! ففيه عبرة لمن يعتبر، وفيه ملهاة لمن يريد أن يتلّهى (**الخطيب** ، **16 / 1684**) .

- فهذا اللفظ وإن كان في صورة الاستفهام، لكن الغرض بمثله المبالغة في التعجب كقولك: أرأيت فلانا ماذا ارتكب ولماذا عرض نفسه؟ (**الرازي** ، **32 / 301**) .

- قد صيغ هذا التعجب في نظم مشوق؛ لأن الاستفهام عن رؤية من ثبتت له صلة الموصول يذهب بذهن السامع مذاهب شتى من تعرف المقصد بهذا الاستفهام، فإن التكذيب بالدين شائع فيهم فلا يكون مثاراً للتعجب فيترقب السامع ماذا يرد بعده، وهو قوله : فذلك الذي يدع اليتيم، وفي إقحام اسم الإشارة واسم الموصول بعد الفاء زيادة تشويق حتى تقرع الصلة سمع السامع فتتمكن منه كمال تمكن (**ابن عاشور** ، **30 / 564**).

- أرأيت الذي ... فذلك الذي ... يعني : أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد، لخشى الله تعالى وعقابه ولم يقدم على ذلك، فحين أقدم عليه: علم أنه مكذب ، فما أشده من كلام، وما أخوفه من مقام، وما أبلغه في التحذير من المعصية وأنها جديرة بأن يستدل بها على ضعف الإيمان ورخاوة عقد اليقين (**الزمخشري** ، **4 / 804**).

- وإنما قال (يُكَذِّبُ) بالمضارع مع أن السياق يدل على أنه ماض لأمرين: إما للتصوير حتى كأنه أمر مشاهد في الحال، وإمَّا إشعاراً لتأكيد إنكار ذلك لما منع الشرع من فعله، فكأنه غير واقع، فإن قلت : قوله تعالى: (يَكَذِبُ) يتعدى بنفسه ومفعوله متأخر عنه، فلم عدّي إليه بحرف الجر، ولا يصلح أن تكون الباء سببية، والمفعول مقدر أي يكذبك أو يكذب الرسول بسبب الدين؛ بل بسبب الأخبار بالدين فالدين نفسه ليس هو سبباً في التكذيب؛ بل السبب الأخبار به أو الدعاء إليه، فالجواب: إما

بأن الباء ظرفية أو الفعل مضمن معنى التساوي، أي روى في الدين أو المفعول محذوف والمجرور على تقدير مضاف كما قلتم (**ابن عرفة ، 4 / 347**).

- الذين: هو الخضوع لما وراء المحسوس من الشؤون الإلهية التي لا يمكن الإنسان أن يعرف حقيقتها، وإنما يجد آثارها في الكون باعثة على الإذغان (**المراغي ، 30 / 247**).

بين بعض المفسرين أنها نزلت في أشخاص بعينهم ، وقال أكثرهم: إنه عام لكل من كان مكذباً بيوم الدين والمعنى: هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو فإن لم تعرفه فهو الذي يدع اليتيم، وذلك لأن إقدام الإنسان على الطاعات وإحجامه عن المحظورات إنما يكون للرغبة في الثواب أو الرهبة من العقاب، فإذا كان منكراً للقيامة لم يترك شيئاً من المشتهيات واللذات، فإنكار المعاد كالأصللجميع أنواع الكفر والمعاصي ، والغرض منه لتعجيب كقولك (( أرأيت فلانا ماذا ارتكب))(**الرازي ، 32 / 301**) .

الآية الثانية : قوله تعالى { فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيم }

- لما كان المراد بهذا الجنس، وكان من المكذبين من يخفي تكذيبه، عرفهم بأمارات تنشأ من عمود الكفر الذي صدر به ويتفرع منه تفضحهم، وتدل عليهم وإن اجتهدوا في الإخفاء وتوضيحهم، فقال مسبباً عن التكذيب ما هو دال عليه (**النيسابوري ، 6 / 572**).

(1) واعلم أنه إذا أراد الله إنزال شيء من القرآن ملحقاً بشيء قبله جعل نظم الملحق مناسباً لما هو متصل به، فتكون الفاء للتفريع، وهذه نكتة لم يسبق لنا إظهارها فعليك بملاحظتها في كل ما ثبت أنه نزل من القرآن محلقا بشيء نزل قبله منه (**البقاعي ، 22 / 278**).

- والفاء لعطف الصفة الثانية على الأولى لإفادة تسبب مجموع الصفتين في الحكم المقصود من الكلام، وذلك شأنها في عطف الصفات إذا كان موصوفها واحداً مثل قوله تعالى:

{وَالصَّافَّاتِ صَفًّا* فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا* فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا} [الصافات: 1-3].

فمعنى الآية عطف صفتي: دعم اليتيم ، وعدم إطعام المسكين على جزم التكذيب بالدين، وهذا يفيد تشويه إنكار البعث بما ينشأ عن إنكاره من المدام ومن مخالفة للحق ومنافياً لما تقتضيه الحكمة من التكليف، وفي ذلك كناية عن تحذير المسلمين من الاقتراب من إحدى هاتين الصفتين بأنهما من صفات الذين لا يؤمنون بالجزاء.

- قوله تعالى: (يدع) من دَعَعتُ وهو يُدعّ: يدفعه عنْ حقه، ويظلمه (**ابن عاشور ، 30 / 569**)، و( يَدُعُّ ) قراءة الجمهور، وقرأ على بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن (يَدَع) بفتح الدالِ وتخفيف العين؛ أي يترك ويهمل (**الفراء ( 3 / 294 ) ، الزمخشري ( 4 / 804 ) و أبو حيان ( 10 /.552**)) .

- ووضع اسم الإشارة المتعِّرض لوصف المشار إليه موضع الضمير للإشعار بعلة الحُكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بُعدِ منزلتِه في الشرِّ والفساد (**الحلبي ، 11 / 121**).

- قوله تعالى {فَذَلِكَ الَّذي يَدُعُّ الْيَتِيم* وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِين} أنه تعالى ذكر في تعريف من يكذب الدين وصفتين أحدهما: من باب الأفعال وهو قوله: فذلك الذي يدع اليتيم والثاني: من باب التروك وهو قوله: ولا يحض على طعام المسكين والفاء في قوله فذلك للسببية أي لما كان كافراً مكذباً كان كفره سبباً لدع اليتيم ، وإنما اقتصر عليهما على معنى أن الصادر عمن يكذب بالدين ليس إلا ذلك ، لأنا نعلم أن المكذب بالدين لا يقتصر على هذين بل على سبيل التمثيل،

كأنه تعالى ذكر في كل واحد من القسمين مثالاً واحداً تنبيهاً بذكره على سائر القبائح، أو لأجل أن هاتين الخصلتين، كما أنهما قبيحان منكران بحسب الشرع فهما أيضاً مستنكران بحسب المروءة والإنسانية.

- في قوله: يدع بالتشديد فائدة، وهي أن يدع بالتشديد معناه أنه يعتاد ذلك فلا يتناول الوعيد من وجد منه ذلك وندم عليه، ومثله قوله تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ}

[النجم : 32] سمي ذنب المؤمن لمما لأنه كالطيف والخيال يطرأ ولا يبقى، لأن المؤمن كلما يفرغ من الذنب يندم، إنما المكذب هو الذي يصر على الذنب **الرازي ، 32 / 302**) .

الآية الثالثة : قوله {ولا يحضّ على طعام المسكين}

- {ولا يحضّ على طعام المسكين} ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف أي لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين أقدم عليه دل أنه مكذب بالجزاء .(**النسفي ، 3 / 684**) .

- وفي وجه آخر : قوله تعالى {ولا يحضّ}غيره {على طعام المسكين} ومن باب أولى بنفسه لا يطعم المسكين (**السعدي ، 1 / 935** ) .

- الحاصل أنه تعالى جعل علم التكذيب بالقيامة الإقدام على إيذاء الضعيف ومنع المعروف، يعني أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لما صدر عنه ذلك، فموضع الذنب هو التكذيب بالقيامة (**الرازي، 32 / 303**).

- قال الشهاب: إن كان الطعام بمعنى الإطعام ،كما قاله الراغب فهو ظاهر، وإلا ففيه مضاف مقدر ... أي بذل طعام المسكين، واختياره على الإطعام للإشعار بأنه كأنه مالك لما يعطي له كما في قوله: {فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُوم* لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُوم} [المعارج: [24-25]، فهو بيان لشدة الاستحقاق، وفيه إشارة للنهي عن الامتنان (**القاسمي ، 9 / 552**)

(1) إضافة الطعام إلى المسكين تدل على ذلك الطعام حق المسكين، فكأنه منع المسكين مما هو حقه وذلك يذل على نهاية بخله وقساوة قلبه وخساسة طبعه (**الرازي ، 32 / 302 – 303** ) .

- كني بنفي الحض عن نفي الإطعام لأن الذي يشح بالحضّ على الإطعام هو بالإطعام أشح، وفي هذا توجيه لأنظارنا إلى أنا إذا لم نستطيع مساعدة المسكين كان علينا أن نطلب من غيرنا معونته ونحثه على ذلك كما تفعل جماعات الخير: ((الجمعيات الخيرية))(**المراغي ، 30 / 249**) .

- قصارى ما سلف – إن للمكذب بالدين صفتين: أولاهما أن يحتقر الضعفاء ويتكبر عليهم، وثانيهما أن يبخل بماله على الفقراء والمحاويج، أو يبخل بسعيه لدى الأغنياء، ليساعدوا أهل الحاجة ممن تحقق عجزهم عن كسب ما ينقذهم من الضرورة، ويقوم لهم بكفاف العيش، وسواء أكان المحتقر للحقوق، البخيل بالمال والسعي لدى غيره مصلياً أو غير مصلّ فهو في وصف المكذبين، ولا تخرجه صلاته منهم، لأن المصدق بشيء لا تطاوعه نفسه على الخروج مما صدّق به، فلو صدّق بالدين حقا لصار منكسراً متواضعاً لا يتكبر على الفقراء ولا ينهر المساكين ولا يزجرهم فمن لم يفعل شيئاً من ذلك فهو مراء في عمله، كاذب في دعواه (**المراغي ، 30 / 249**) .

- في الآيات الثلاث سؤال تنديدي موجه للسامع عن ذلك الذي يكذب بالحساب والجزاء الأخرويين،وتقرير بمثابة الجواب بأنه هو الذي لا تأخذه الشفقة على اليتيم فينتهره ويدفعه بشدة والذي لا تأخذه الرأفة بالمسكين فلا يطعمه ولا يحض غيره على إطعامه (**دروزة ، 2 / 21**).

- وهنا سؤال: وهو لم خصَّ المكذبين بيوم الدين عمن يرتكب هذين الأمرين دع اليتيم، وهو دفعه وزجره ، وعدم الحض على إطعام المسكين، وبالتالي عدم إطعامه هو من عنده؟

والجواب: أنهما نموذجان ومثالان فقط، والأول منهما: مثال للفعل القبيح، والثاني:

مثال للترك المذموم ، ولأنهما عملان إن لم يكونا إسلاميين فهما إنسانيان قبل كل شيء (**الشنقيطي ، 9 / 114**) .

- إيذاء اليتيم وضياع المسكين، ليس هناك من يدفع عنه، ولا يمنع إيذاء هؤلاء عنهما، وليس لديهما الجزاء الذي ينتظره أولئك منهم على الإحسان إليهم، وجبلت النفوس على ألا تبذل إلا بعوض، ولا تكف إلا عن خوف، فالخوف مأمون من جانبي اليتيم والمسكين، والجزاء غير مأمول منهما، فلم يبق دافع للإحسان إليهما، ولا رادع عن الإساءة لهما إلا الإيمان بيوم الدين والجزاء ،فيحاسب الإنسان على مثقال الذرة من الخير (**الشنقيطي ، 9 / 114**) .

- وتخصيص اليتيم والمسكين بالذكر لا يعني كما هو المتبادل أن قهر الأول وحرمان الثاني هما عنوان التكذيب بالآخرة وجزائها حصراً، فهذا أسلوب من أساليب القرآن وهناك آيات قرآنية كثيرة منها مما سبق تذكر آثاما أخرى عامة وخاصة يقترفها الإنسان نتيجة لجحوده ذلك، وقد يعني تخصيص ذلك بالذكر هنا قصد التنويه بخطورة أمر اليتيم والمسكين ... هو ما تكرر كثيراً في القرآن وقد سبق منه أمثلة عديدة وعلقنا عليه بما يغني عن التكرار (**دروزة ، 2 / 21**) .

- جيء في يكذب، ويدع، ويحض بصيغة المضارع لإفادة تكرر ذلك منه ودوامه (**ابن عاشور ، 30 / 566**) .

- الدين هو إحراز الإسلام والإيمان والإحسان، فمَن جمع هذه الثلاث تخلّص باطنه، فكان فيه الشفقة والرأفة والكرم والسخاء، وتحقق بمقام الإخلاص، وذاق حلاوة المعاملة، وأمّا مَن لم يظفر بمقام الإحسان فلا يخلو باطنه من عُنف وبُخل ودقيق رياء، ربما يصدق عليه قوله تعالى:

{ أرأيت الذي يُكذّب بالدين فذلك الذي يَدُعُّ اليتيم .... } (**البحر المديد ، 7 / 360**) .

**المطلب الثاني: قوله تعالى: {فَوَيْلٌ لِّلْمصَلِّين* الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُون* الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُون* وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُون}**

وفيه مسألتان .

**المسألة الأولى: التفسير الإجمالي للآيات:**

في هذه السورة الحث على إكرام اليتيم، والمساكين، والتحضيض على ذلك، ومراعاة الصلاة، والمحافظة عليها وعلى الإخلاص فيها وفي جميع الأعمال، والحث على فعل المعروف وبذل الأموال الخفيفة، كعارية الإناء والدلو والكتاب ونحو ذلك، لأن الله ذم من لم يفعل ذلك.

قوله تعالى: {فويل للمصلين* الذين هم عن صلاتهم ساهون} هذا وعيد شديد لهم إذ الويل واد في جهنم يسيل من صديد أهل النار وقيوحهم، وهو أشد العذاب إذ كانوا يغمسون فيه أو يطعمون ويشربون منه، ومعنى عن صلاتهم ساهون أنهم غافلون

عنها لا يذكرونها، فكثيراً ما تفوتهم ويخرج وقتها، وأغلب حالهم أنهم لايصلونها إلا عند قرب خروج وقتها، هذا وصف آخر أنهم {يُرَاؤُونَ} بصلاتهم وبكل أعمالهم أي يصلون وينفقون ليراهم المؤمنون فيقولوا أنهم مؤمنون، وبالمراءاةيدرءون عن أنفسهم القتل والسبي، وثالث أنهم {يمنعون الماعون} فإذا استعارهم مؤمن ماعوناً للحاجة به لا يعيرون ويعتذرون بمعاذير باطلة فلا يعيرون فأساً ولا منجلاً ولا قدراً ولا أية آنية أو ماعون لأنهم يبغضون المؤمنين ولا يريدون أن ينفعوهم بشيء فيحرمونهم من إعارة شيء ينتفعون به ويردونه عليهم (**الجزائري ، 5 / 620 و السعدي ، 935**) .

**المسألة الثانية: الفوائد المستنبطة من الآيات:**

- مناسبة هذه الآية واتصالها بما قبلها أنه بيّن تعالى في صدر السورة صفات المكذب بالدين مع الخلق، فهو يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فهذا تعامله مع الخلق فناسب أن يعقبه ببيان تعامله مع الخالق ، بقوله تعالى: {فويل للمصلين* الذين هم عن صلاتهم ساهون* الذين هم يراؤون* ويمنعون الماعون}.

قال البقاعي: "ولما كان هذا حاله مع الخلائق، أتبعه حاله مع الخالق إعلاماً بأن كلاً منهما دالّ على خراب القلب وموجب لمقت الرب، وأعظم الإهانة والكرب ، وأن المعاصي شؤم مهلك، تنفيراً عنها وتحذيراً منها" (**البقاعي ، 22 / 280**) .

وهناك وجه مناسبة آخر: كأنه لما ذكر إيذاء اليتيم وتركه للحض كأن سائلاً قال: أليس إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ؟ فقال له: الصلاة كيف تنهاه عن هذا الفعل المنكر وهي مصنوعة من عين الرياء والسهو.

ووجه ثالث قريب من الأول هو: كأنه يقول: إقدامه على إيذاء اليتيم وتركه للحض، تقصير فيما يرجع إلى الشفقة على خلق الله، وسهوه في الصلاة تقصير فيما يرجع إلى التعظيم لأمر الله، فلما وقع التقصير في الأمرين فقد كملت شقاوته، فلهذا قال: فويل (**الرازي ، 32 / 303**) .

ووجه رابع لمناسبتها أن الصلاة في حقيقتها نور يضئ ظلام القلوب، ويجلّى غشاوة النفوس، لأنها أوثق الصلات التي تصل العبد بربه، وتقرّبه منه، وتعرضه لنفحات الرحمة، فتشيع في كيانه الحب والحنان، حيث يضفيهما على عباد الله، وخاصة الضعفاء والفقراء، الذين وصّى الله سبحانه وتعالى بهم الأقوياء والأغنياء، واسترعاهم إياهم، والصلاة لا تثمر هذا الثمر الطيب، ولا تؤتي هذا الأكل الكريم ، إلا إذا كانت خالصة لله ، يشهد فيها المصلّي جلال خالقه ، وعظمة ربه (**القاسمي ، 9 / 553**) .

الآية الرابعة : قوله تعالى { فويل للمصلين } .

- المعنى بهذه الآيات أولاً وبالذات المنافقون في عهد النبوة، ويدخل فيها ثانياً وبالعرض، كل من وجد فيهم تلك الخلال الذميمة اعتباراً بالعموم (**القاسمي ، 9 / 553**)، فالسورة مدنية.

ونظيرها في المنافقين قوله تعالى:{وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَاللَّه إِلاَّ قَلِيلا} [النساء : 142] (**الماتريدي، 10 / 624**) .

- جائز أن يكون في أهل الكفر، وأهل الكفر كانوا يصلون، كقوله تعالى: {وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً } [الأنفال: 35]، أخبر أن صلاتهم في الحقيقة ليست بصلاة، فجائز أن تكون على صورة الصلاة الحقيقية، وقد ذكر أنهم كانوا يصلون مستقبلين نحو أصنامهم، يرون الناس كثرة اجتهادهم في طاعة الأصنام، حتى إذا رآهم من نأى عنهم ظن أن ذلك حق، فيكون في ذلك صد عن إجابة الرسول، ودفع وجوه القوم عنه، وذلك قوله: {إِلاَّ مُكَاءً وَتصْدِيَةً} (**الطبري ، 24 / 630 – 634**) .

- ويل: أي الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم (**السمين الحلبي ، 11 / 122 / 123**) .

- الفاء للتسبب، أي: تسبب عن هذه الصفات الذميمة الدعاء عليهم بالويل لهم (**الشوكاني ،5 / 612 وصديق خان، 15 / 404**)

- ويجوز أن تكون الفاء في "فويل" لترتيب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبائحهم، ووضع المصلين موضع ضمير هم للتوصل بذلك إلى بيان أن لهم قبائح أخرى غير ما ذكر (**القاسمي ، 9 / 553**) .

- قوله تعالى (للمصلين) من باب وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بأن أشرف أفعالهم وصور حسناتهم سيئات وذنوب، لعدم ماهي به معتبرة من الحضور والإخلاص (**التفسير القرآني للقرآن ، 16 / 1686**) .

- وقوله تعالى: {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّين} في جعل هاتين الكلمتين آية ذات دلالة مستقلة، مستوفية أركان الجملة المفيدة من مبتدأ وخبر – في هذا إعجاز من إعجاز البلاغة القرآنية، حيث تهزّ هاتان الكلمتان أقطار النفس، وتستثير دواعي الفكر، حين يجد المرء نفسه بين يدي هذه الحقيقة الغريبة المذهلة: ((ويل للمصلين)) !!! وكيف يكون الويل للمصلين، والصلاة عماد الدين

- وركنه المتين، وعليها يقوم بناؤه، وبها تشتد أركانه، وتثبت دعائمه؟ أهذا ممكن أن يكون؟ ويجئ الجواب نعم! وكيف؟ إنها صلاة الساهين عنها، المستخفين بها، الذين يأتونها رياء ونفاقاً... وإن الذين لا يؤدون الصلاة أصلاً، ممن يؤمنون بالله، أنهم أحسن حالاً من هؤلاء المصلين المرائين، لأن الذين لا يؤدونها أصلاً، لم يتعاملوا بالصلاة بعد، ولم يزنوها بهذا الميزان البخس، ولو

أنهم صلّوا فقد يقيمونها على ميزان يعرف قدرها، ويبين عن جلالها ، وعظمة شأنها .. أما الذي يصلي ساهياً عن الصلاة متغافلاً عنها، مستخفّاً بها فقد بان قدر الصلاة عنده ووزنها في مشاعره.. وهو قدر هزيل، ووزن لا وزن له، ومن هنا كان جزاؤه هذا الوعيد بالويل والعذاب الشديد (**التفسير القرآني للقرآن ، 16 / 1688**).

- فوصفهم بـــ (( المصلين))إذن تهكم، والمراد عدمه، أي الذين لا يصلون، أي ليسوا بمسلمين كقوله تعالى{قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّين* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِين} [المدثر : 43 – 44 ] وقرينة التهكم وصفهم بـــالذين هم عن صلاتهم ساهون وعلى القول بأنها مدنية أو أن هذه الآية وما بعدها منها مدنية يكون المراد بالمصلّين الذين هم عن صلاتهم ساهون المنافقين (**ابن عاشور ، 30 / 567**).

- وفي التنديد بالمصلّين اللّاهية قلوبهم عن صلاتهم تنبيه لو جوب تذكر المصلي الله، وإفراغ قلبه له حينما يقف أمامه متعبداً، وتقرير ضمني بأنه بذلك فقط يتأثر بصلاته تأثراً يبعث فيه السكينة والطمأنينة ويرتفع به إلى أفق الروحانية العلوية كما هو مجرب عند كل من يفعل ذلك حقاً، ويوقظ فيه الضمير فيبتعد عن الفحشاء والمنكر ويندفع نحو الخير والصلاح .

وكل هذا من مقاصد الصلاة بالإضافة إلى كونها واجب العبادة ومظهر الخضوع لله ... أما اللاهونفلا يتأثرون ذلك التأثير الباعث الموقظ الوازع الدافع فتكون صلاتهم عملاً آلياً لا روح فيها ولا حياة ويكون القصد منها الرياء والخداع ولا تكون بعد مقبولة عند الله (**دروزة ، 2 / 21**).

الآية الخامسة : قوله تعالى :

{ ٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْسَاهُون }

- معناها : أي لاهون يتغافلون عنها ، وفي اللهو عنها والتشاغل بغيرها ، تضييعها أحياناً ، وتضييع وقتها أخرى (**الطبري ، 24 / 630 – 634**) .

- ويجو ز أن يكون معناه : الذين يصلون دون نية وإخلاص فهم في حالة الصلاة بمنزلة الساهي عما يفعل فيكون إطلاق ساهون تهكماً كما قال تعالى: {يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ الله إِلاَّ قَلِيلا }(**ابن عاشور ، 30 / 568**) .

- لعل في إضافة الصلاة إليهم إشارة إلى أن تلك الصلاة لا تليق إلا بهم لأنها كلا صلاة من حيث إنهم تركوا شرائطها وأركانها فلم يكن هناك إلا صورة صلاة صح باعتبارها إطلاق المصلّين عليهم في الظاهر .. ويجوز أن يطلق لفظ المصلّين على تاركي الصلاة بناء على أنهم من جملة المكلفين بالصلاة (**النيسابوري ، 6 / 573**) .

- السهو حقيقته : الذهول عن أمر سبق علمه ، وهو هنا مستعار للإعراض والترك عن عمد استعارة تهكمية مثل قوله تعالى : { وَتنسَوْنَ مَا تُشْرِكُون } [ الأنعام : 41 ] أي تعرضون عنهم ، ومثله استعارة الغفلة للإعراض في قوله تعالى : { بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكانُوا عَنْهَا غَافِلِين } [ الأعراف : 136 ] وقوله تعالى : { وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُون } [ يونس : 7 ] ، وليس المقصود الوعيد على السهو الحقيقي عن الصلاة لأن حكم النسيان مرفوع على هذه الأمة ، وذلك ينادي على أن وصفهم بالمصلّين تهكم بهم بأنهم لا يصلون (**التحرير والتنوير ، 30 / 569**) .

- فإن قلت : أي فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم ؟ قلت : معنى عن : أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها ، وذلك فعل المنافق أو الفسقة الشطار من المسلمين ، ومعنى في : أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس ، وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلاً عن غيره (**الزمخشري ، 4 / 805 و القرطبي ، 20 / 212**) .

فعن أنس و الحسن قالا الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم لأن معنى عن أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها وذلك فعل المنافقين ومعنى في أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يخلو عنه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلاً عن غيره (**النسفي ، 3 / 685**) .

الآية السادسة : قوله تعالى : { الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُون }

- معناها : أي الذين هم يراءون الناس بصلاتهم إذا صلوا ، لأنهم لا يصلون رغبة في ثواب ، ولا رهبة من عقاب ، وإنما يصلون ليراهم المؤمنون فيظنونهم منهم (**الطبري ، 24 / 630 – 634**).

- عبر بالفعل المقتضي للتقاطع و التجدد شيئاً بعد شيء ، لأن المراءات إنما يكون للناس الناظرين له ، وهؤلاء يلامون ، أو يلاقون التكلف في كل الأوقات بل في أقلها ، لأنه في الليل وفي بعض النهار في داره لا يراه أحد ، بخلاف ( سَاهُونَ ) فإن ترك الصلاة ملازم له ، فلذلك عبر فيه بالاسم فهذا مفاعلة (**ابن عرفة ، 4 / 349**) .

- جملة يُراؤُونَ جاءت مطلقة لتنعى الرياء على الإنسان إطلاقاً سواء أكان يرائي في صلاته أم في أي موقف وعمل آخر .. وتتضمن بناء على ذلك تنديداً بخطورة خلق الرياء وبشاعته حيث يكون المتخلق به أمام الله مخادعاً وأمام الناس كاذباً مضللاً ساخراً ، وتنبيهاً إلى ما في انتشار هذا الخلق في مجتمع من المجتمعات من الشر العام (**دروزة ، 2 / 22**) .

- ذكر شيئين من قبائح أفعال المكذب بالجزاء على سبيل التمثيل وسبب تخصيصهما أنهما منكران بحسب الشرع وبحسب العقل والمروءة أيضاً (**النيسابوري ، 6 / 573**).

- تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله : هم يراؤون لتقوية الحكم ، أي تأكيده (**ابن عاشور ، 30 / 568**) .

- المرائي في صلاته قد يكون منافقاً ، وقد يكون غير منافق ، فالرياء أعم من جهة ، والنفاق أعم من جهة أخرى ، أي قد يرائي في عمل ما ، ويكون مؤمناً بالبعث والجزاء وبكل أركان الإيمان ، ولا يرائي في عمل آخر ، بل يكون مخلصاً فيه كل الإخلاص ، والمنافق دائماً ظاهره مخالف لباطنه في كل شيء ، لا في الصلاة فقط ، ولكن جاء النص : بأن المراءاة في الصلاة من أعمال المنافقين ، وجاء النص أيضاً بأن منع الماعون من طبيعة الإنسان إلا المصلين ، كما في قوله تعالى :

{ إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلّين }(**الشنقيطي ،9 / 116**) .

- أثر الصلاة في الإسلام ، وعلى الفرد والجماعة هي أعظم من أن تذكر ، وقد وجدنا بعض آثارها وهو المراءاة في العمل ، أي ازدواج الشخصية والانعزال في منع الماعون ، أي لا يمد يد العون ولو باليسير لمجتمعه الذي يعيش فيه ، وقد جاءت نصوص صريحة في مهمة الصلاة عاجله وآجله ، ففي العاجل قوله تعالى : { إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاء وَ الْمُنكَر } [ العنكبوت : 45 ] ،

ومن الفحشاء: دع اليتيم وعدم إطعام المسكين ، في الدرجة الأولى ، ومنها : كل رذيلة منكرة ، فهي إذن سياج للإنسان يصونه عن كل رذيلة ، وهي عون على كل شديدة ، كما قال تعالى :

- { وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاَةِ ) [ البقرة : 45 ] فجعلها قرينة الصبر في التغلب على الصعاب ، وهي في الآخرة نور ، كما قال تعالى ( يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِم } [ الحديد : 12 ] ، مع قوله صلى الله عليه وسلم : ((إن أمتي يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء))**الشنقيطي، 9 / 117**) .

الآية السابعة : قوله تعالى : { وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُون }

- معناها : أي يمنعون الناس منافع ما عندهم ، وأصل الماعون من كلّ شيء منفعته (**الطبري ، 24 / 630 – 634**) .

- التنديد بمانعي الماعون سواء أكان المعونة عامة أم الزكاة أم أدوات البيت جدير بالتنويه من حيث كون منع الماعون مظهراً من مظاهر عدم التعاون وعدم تبادل المعروف أو عدم بذل ما يكون الآخر في حاجة إليه من عون ، ومن حيث تضمنه حقاً لكل مسلم على تجنبه وعلى بذل كل عون يقدر عليه إلى من هو في حاجة إليه (**دروزة ،2 / 24**) .

- وقوله : { ويمنعون الماعون } أي : لا أحسنوا عبادة ربهم ، ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به ، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم .. فهؤلاء لمنع الزكاة و أنواع القربات أولى وأولى (**ابن كثير ،8 / 495**).

- قال المحققون في الملاءمة بين قوله : يراؤن وبين قوله : ويمنعون الماعون كأنه تعالى يقول الصلاة لي و الماعون للخلق ، فما يجب جعله لي يعرضونه على الخلق و ما هو حق الخلق يسترونه عنهم فكأنه لا يعامل الخلق والرب إلا على العكس (**الرازي ، 32 / 305**)

- و أخذ منها أنه يستحب أن يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج إليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب (**الخازن ، 4 / 479**).

- فإن قيل على هذا : كيف خص المنافقين ، وهم شر الخليقة بمنع الماعون ، وهو من المحقرات ، وفيهم من الكبائر ما هو أكبر من كل كبيرة قيل : هذا تنبيه على بخلهم ، ( وسوء خلتهم ) ، وموضع عداوتهم ، وإشارة إلى غاية بغضهم للإسلام وأهله ، وذلك أنهم إذا منعوا ما لا يرزأ مالاً ولا يغير حالاً فهم للكثير أمنع ، وإذا لم يصلوا من مضرّة المسلمين إلا إلى منع الحقير فهم بغير ذلك أدع ، وإليه أسرع (**الواحدي ،24 / 365**) .

- وكل ذلك من باب الذنوب ، ولا يصير المرء به منافقاً فلم حكم الله بمثل هذا الوعيد على فاعل هذه الأفعال ؟ ولأجل هذا الإشكال ذكر المفسرون فيه وجوهاً أحدها : أن قوله : فويل للمصلين أي فويل للمصلين من المنافقين الذين يأتون بهذه الأفعال ، وعلى هذا التقدير تدل الآية على أن الكافر له مزيد عقوبة بسبب إقدامه على محظورات الشرع وتركه لواجبات الشرع ، وهو يدل على صحة قول الشافعي : إن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع (**الرازي ، 32 / 304**) .

- فإن قيل : هذه الآية تدل على التهديد العظيم بالسهو عن الصلاة ، والرياء ، ومنع الماعون ، وذلك من باب الذنوب ، ولا يصير المرء به منافقاً ، فلم حكم الله بمثل هذا الوعيد على هذا الفعل ؟ فالجواب من وجوه :

الأول : قال ابن الخطيب : المراد بالمصلين هنا المنافقون الذين يأتون بهذه الأفعال وعلى هذا التقدير : دلت الآية على أن الكافر له مزيد عقوبة على فعل محظورات الشرع، وتركه واجبات الشرع، وذلك يدل على أن الكفار مخاطبون بفروع الإسلام .

الثاني : قيل لعكرمة : من منع شيئاً من المتاع كان له الويل ؟ فقال: لا ، ولكن من جمع ثلاثتهن فله الويل ، يعني : ترك الصلاة ، وفعل الرياء ، وترك الماعون .

- قال ابن عرفة : وفي الآية معنى آخر حسن وهو أن الإنسان له ثلاثة أشياء يحمد على استخدامها في أعمال البروالرشاد ، ويؤمر على استخلاصها في ضد ذلك وهي : العلم ، والقول ، والفعل ، فالعلم يوصل إلى التصديق بوحدانية الله تعالى ، وأنه ليس في مكان ولا زمان ، وغير ذلك مما يجب له ويستحيل عليه ، وأن من ذلك جنةً و ناراً ، وثواباً وعقاباً ، فهذا معلوم بالفعل أو بالعقل ، والفعل أن يفعل الخيرات ، والقول بأن يأمر بها ويحض عليها ، وقد وضعوا في الآية بعكس الأمور الثلاثة ، فكذبوا بالحساب والعقاب والثواب فهذا و دع اليتيم فعل ، لأنه الدفع بعنف ،

ولم يحض على طعام المسكين فهذا القول، يقرأ الحسن بفتح الدال وتخفيف العين ، ابن عرفة : وهذا أبلغ من الذم ، لأنهم إذا ذموا على ترك اليتيم وعدم إعطائه المال ، فأحرى أن يذموا على دفعه بعنف وضربه ، لأن يدع بالتشديد يقتضي الدفع بعنف (**ابنعرفة ، 4 / 348**).

- وفي الآيتين إشارة إلى أن الصلاة لي والماعون للخلق، فالذي يجب أن يفعل لأجلي يرونه الناس والذي هو حق الخلق يمنعونه منهم فلا يراعون جانب التعظيم لأمر الله ولا جانب الشفقة على خلق الله وهذه كمال الشقاوة نعوذ بالله منها والله تعالى أعلم (**النيسابوري ، 6 / 574**) .

- ويؤخذ من الآيات أن أولئك الذين يصلّون ، ولا يأتون من الأعمال إلا ما يرى للناس ، مما لا يكلفهم بذل شيء من مالهم ، ولا يخشون منه ضرراً يلحق بأبدانهم ، أو نقصاً يلمّ بجاههم ، ثم يمنعون ما عونهم ، ولا ينهضون بباعث الرحمة إلى سدّ حاجة المعوزين ، وتوفير ما يكفل راحتهم وأمنهم وطمأنينتهم ، لا تنفعهم صلاتهم ، ولا تخرجهم عن حد المكذبين بالدين ، لا فرق بين من وسموا أنفسهم بسمة الإسلام أو غيره ، فإن حكم الله واحد ، لا محاباة فيه للأسماء المنتحلة ، التي لا قيمة لها إلا بمعانيها الصحيحة المنطبقة على مراده تعالى من تحديد الأعمال وتقرير الشرائع ،فخاصة المصدّق بالدين التي تميزه عن سواه من المكذبين هو العدل و الرحمة وبذل المعروف للناس ، وخاصة المكذب التي يمتاز بها عن المصدقين هي احتقار حقوق الضعفاء وقلة الاهتمام بمن تلذعهم آلام الحاجة ، وحب الأثرة بالمال ، والتعزز بالقوة ،ومنع المعروف عمن يستحقه من الناس ، فهل للمسلمين الذين يزعمون أنهم يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به أن يقيسوا أحوالهم وما يجدونه من أنفسهم بما يتلون في هذه السورة الشريفة ؟ ليعرفوا هل من قسم المصدقين أو المكذبين ؟

وليقلعوا عن الغرور برسم هذه الصلاة التي لا أثر لها إلا في ظواهر أعضائهم، وبهذا الجوع الذي يسمونه صياماً ولا أثر له إلا في عبوس وجوههم ، وبذاذة ألسنتهم ، وضياع أوقاتهم في اللهو و البطالة ، ويرجعوا إلى الحق من دينهم ، فيقيموا الصلاة ، ويحيوا

صورتها بالخشوع للعليّ الأعلى فلا يخرجون من الصلاة إلا وهم ذاكرون أنهم عبيد لله يلتمسون رضاه في رعاية حقوقه بما يراه ، ويجعلوا من الصوم مؤدباً للشهوة ، ومهذّباً للرغبة ، رادعاً للنفس عن الأثرة ، فلا يكون في صومهم إلا الخير لأنفسهم ولقومهم ، ثم يؤدون الزكاة المفروضة عليهم ، ولا يبخلون بالمعونة فيما ينفع الخاصة والعامة ، والله أعلم (**المراغي ، 30 / 250**) .

- في الآيات الأربع : إنذار وسوء دعاء على الذين يصلون وقلوبهم لاهية عما هم فيه ، والذين يصدرون في عبادتهم وأعمالهم أمام الله والناس عن رياء وخداع ، والذين يمنعون عونهم وبرّهم أو ماعونهم عن المحتاجين إليه (**الحديث ،2 /19**) .

- وفي هذه السورة الحث على إكرام اليتيم والمساكين ، والتحضيض على ذلك ، ومراعاة الصلاة ، والمحافظة عليها ، وعلى الإخلاص فيها وفي جميع الأعمال ، والحث على فعل المعروف وبذل الأموال الخفيفة ، كعارية الإناء والدلو والكتاب ، ونحو ذلك ، لأن الله ذم من لم يفعل ذلك (**السعدي ، 935**) .

- قال الرازي : " ولنختم تفسير هذه السورة بالدعاء : إلهنا، هذه السورة في ذكر المنافقين والسورة التي بعدها في صفة محمد صلى الله عليه وسلم فنحن وإن لم نصل في الطاعة إلى محمد عليه الصلاة والسلام وإلى أصحابه ، لن نصل في الأفعال القبيحة إلى هؤلاء المنافقين ، فاعف عنا بفضلك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم " (**الرازي ، 32 / 306**) .

## المبحث الثاني: الأسرار البلاغية في السورة

تحليل السورة بلاغياً :

قبل تحليل السورة بلاغيا لابد من إيراد نصها الكريم أولا، وتحديد الظواهر البلاغية فيه ثانياً ومن ثم توزيعها إلى علومها الثلاثة ( المعاني والبيان والبديع ) التي تشكل لحمة البلاغة وسداها.

بسم الله الرحمن الرحيم

{أرأيت الذي يكذب بالدين (1) فذلك الذي يدع اليتيم (2) ولا يحض على طعام المسكين (3) فويل للمصلين (4) الذين هم عن صلاتهم ساهون (5) الذين هم يرآءون (6) ويمنعون الماعون (7).

صدق الله العظيم

أ – علم المعاني : ورد في السورة منه : ( الاستفهام – الفصل والوصل – ايجاز الحذف – الإظهار في مقام الإضمار – الاحتباك – وضع الاسم الظاهر موضع الضمير – القصر بضمير الفصل – التذييل – الاكتفاء)

ب – علم البيان : ورد في السورة منه : ( الكناية – الاستعارة – المجاز المرسل ) .

ج – علم البديع : ورد في السورة منه : (الجناس الناقص– الطباق المعنوي– التكرار – مراعاة النظير – رد العجز على الصدر) .

وقد تواشجت هذه الظواهر البلاغية جميعا في نسيج السورة على نحو متناغم في بث مقاصد السورة وأهدافها .

تُستَّهلُّ السورة بابتداءٍ غاية في الحُسن إذ يناسب المقصود مناسبة تامة (( وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود ويسمى براعة الاستهلال )) (**القزويني و خفاجي ، 1989 م : 2 / 594**) .

( أَرَءَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ) ، إذ إن افتتاح السورة بالاستفهام يُحقق تنبيهاً للسامع أو القارئ ، وتشويقاً لمعرفة المستفهم عنه وصفاته ، فضلاً عمّا في الاستفهام من التعجيب من حال المستفهم عنه زيادة في التنبيه والتشويق ، وقد صيغ هذا التعجيب في نظم مُشوّق لأنّ الاستفهام عن رؤية مَن ثبتت له صلة الموصول يذهب بذهن السامع مذاهب شتى لمعرفة المقصود بالاستفهام ، فالتكذيب بالدين شائع عندهم ولذلك لا يكون مثاراً للتعجّب !!!

فيترقبّ السامع لما يرد بعَده وهو الآية الثانية (**بن عاشور ، 30/ 564**) ، وهكذا يتحقق أيضا ما تقيده همزة الاستفهام من تقرير وتفهيم ، ليتذكّر السامع مَن يعرفه بهذه الصفة (**الأندلسي ، 8/ 517**) .

وهكذا حققّت براعة الاستهلال وظيفتين :

الأولى : جلب انتباه القارئ أو السامع وشَدّهِ إلى موضوع السورة .

والثانية : التلميح له عمّا تحتويه السورة من معانٍ ، فَحُسنُ الابتداء أو براعة المطلع (( هو أن يُجعَل أوّل الكلام مناسباً للمقام بحيث يجذب السامع إلى الإصغاء بكُلّيته ، لأنه أوّل ما يقرع السمع )) (**الهاشمي، 12 : 419**) ، ويُلحَظُ أنّ هذا الابتداء له موقعٌ يرتبط مع بقية عناصر السورة برابطٍ عضوي ، أي أنّ السورة الكريمة تنبثق عنه وترتبط به وهي تُصوّر الكافر والمنافق ، وأنّ معانيه تمتد داخل السورة لتولّد هذه الصور مما يُجلّيشدّة الالتئام والانسجام (**نصير ، 1993 م :22**) .

والرؤية هنا قد تكون بمعنى العلم (**القاسمي، 517/9**) ، وقد تكون بصرية ، إذ إنّ المكّذبين بالدين معروفون وأعمالهم مشهورة ، فَنُزّلت شهرتهم منزلة الأمر المشاهَد المبصَرْ ، وقيل إنها بمعنى أخبرني (**الشوكاني ، 5/ 673**) ، وهي خطابٌ للرسول صلى الله عليه وسلم ، أو هي خطاب عام لكل عاقل تتأتى منه الرؤية ليرى ، والمعنى : أرأيت هذا الذي يُكذّبُ بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح تبيانه ، فكيف يليق بالعاقل جرّا العقوبة الأبدية إلى نفسه ؟ وكيف يليق به أن يبيع الكثير الباقي بالقليل الفاني ؟

فمن كانت هذه صفاته فقد أنكر البعث والنشور ، وهكذا ثبتَ أنّ إنكار القيامة أصلٌ لجميع أنواع الكفر والمعاصي (**الرازي ، 2009م : 104/32**) ، وفي ذلك إيحاءٌ بأن الإيمان بالبعث والجزاء هو الوازع الحق الذي يغرس في النفس جذور الإقبال على الأعمال الصالحة ، وقد يكون في الكلام حذف ، والتقدير :

أرأيت الذي يكذّب بالدين ، أمصيبٌ هو أم مخطئ (**القرطبي ، 1967 م : 210/19**)، أو إنّ رأيته فذلك الذي يدعّ اليتيم ، مما يحقق إيجازاً يتناسب مع مقاصد حسن الابتداء .

وفي الإتيان بالاسم الموصول ( الذي ) بعد الاستفهام وفعل الرؤية زيادة تشويقٍ حتى تقرع الصّلة سمع السامع فتتمكّن منه كمال تمكّن ، والمراد بـــ ( الذي ) الجنس للواحد وما فوقه فيفيد العموم .

أمّا المستفهَم عنه فَذُكِرَ بالصيغة الفعلية ( يُكذّب ) لإفادة تكرر ذلك منه ودوامه واستمراره على التكذيب على الرغم من وضوح الدلائل ، فضلاً عن دلالة الفعل على التجديد والحركة والإيحاء بأنه إرادي من فعل الإنسان ، وقد أفاد التضعيف تأكيداً وتكثيراً (**ساسي ، 2007م : 274**). ولكن بأي شيءٍ كان التكذيب المستمر ؟ ( بالدين ) هكذا بصيغة التعريف للتعبير عن الحساب والحكم العادل بالثواب والعقاب ، فالتعريف يفيد الكمال لأن هذا الدين ليس دين مظاهر وطقوس ، ولا تُغني فيه مظاهر العبادات والشعائر ما لم تكن صادرة عن إخلاص لله وتجرّدٍ يؤدي إلى آثار في القلب تدفع إلى العمل الصالح ، فليس هذا ( الدين ) أجزاءٌ وتفاريق موزّعة منفصلة يؤدي منها الإنسان ما يشاء ويدع ما يشاء ، إنما هو منهج متكامل (**قطب ، 1971 م : 679/30**). إنّ ( الدين ) المطلق في الاصطلاح الشرعي هو الإسلام ، قال تعالى : { إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَمُ } (**سورة آل عمران : 19**)، وقال أكثر المفسرين أن المراد : ( الجزاء والحساب ) ، وحمله على هذا الوجه أولى لأن مَن يُنكِر الإسلام قد يأتي بالأفعال الحميدة ويحترز عن مقابحها إذا كان مُقرّاً بالقيامة والبعث ، أمّا المقدِم على القبائح من غير مبالاة فليس هو إلاّ المنُكِر للبعث والقيامة(**الرازي ، 105/32**) .

ويأتي جواب الاستفهام – بعد كل ذلك – على سبيل الوصل بالفاء لعطف الصفة الثانية على الأولى لإفادة تسبّب مجموع الصفتين في الحكم المقصود من الكلام ، والمعنى : عطف صِفَتي دَعّ اليتيم وعدم إطعام المسكين على التكذيب بالدين ، وفي ذلك كناية عن تحذير المسلمين من الاقتراب من إحدى هاتين الصفتين لأنهما من صفات الذين لا يؤمنون بالجزاء(**ابن عاشور ، 30/ 564 – 565**)ويتواشج الوصل مع وضع الاسم الظاهر موضع الضمير إذ (( وضعَ اسم الإشارة المتعرضّ لوصف المشار إليه موضع الضمير للإشعاربعلّة الحكم ، والتنبيه بما فيه من معنى البُعد على بُعد منزلته في الشر والفساد )) (**العمادي ، 30/**

**287**) ، فتظهر صورة المستفهَم عنه ، فهو البغيض البعيد المبعَد من كل خير ، وهذا مُسَبَّبٌ عن التكذيب ، فالتكذيب بالجزاء سببٌ للغِلظة ، فقد جعله جريئاً على مساوئ الأخلاق حتى صارت الاستهانة بالعظائم خُلقاً له ، وفي ذلك حث – على سبيل المخالفة – للمؤمنين على التصديق ، وزجرٌ عن التكذيب ، والتنزّه عنه ، ولا سيما أنَّ صِفَتَيْ الكافر إحداهما من باب الأفعال وهي ( دعّ اليتيم ) والثانية من باب التروك وهي ( عدم الحضّ ) وقد اقتُصِرَ عليهما على معنى أنّ الصادر عمّن يُكذّب بالدّين ليس إلا ذلك ، والمعلوم أن المكذّب بالدين لا يقتصر عليهما ، بل جاء ذلك على سبيل التمثيل إذ ذُكِر في كل واحد من القسمين مثال واحد تنبيهاً على سائر القبائح ، أو لأنهما تجمعان صفة القبح بحسب الشرع ، والاستنكار بحسب المروءة الإنسانية (**الرازي** ، **105/32**) . وقد حقق الاسم الموصول بعد اسم الإشارة زيادةً في التشويق قبل ذِكر الصفة الفعلية ( يدّع اليتيم ) ، أي : يدفعه بعنفٍ وشدّةٍ ، وهو أصل يدلّ على حركة ودفع واضطراب ، يقال : دَععتُه أدُعُّهُ دعّاً (**بن فارس** ، **2001 م** : **329**) . قال تعالى : { يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعاً } (**سورة الطور** : (**13**)) ، وصيغة المضارع ( يدعّ ) تفيد التكرار والدوام والاستمرار والقصدية الإرادية ، مما يزيد صورة الكافر قُبحاً ويظهر إصراره على التكذيب وفعل القبائح ، فالتشديد في ( يدعّ ) أفاد أنه يعتاد ذلك على الدوام والتكثير ، فلا يتناول الوعيد مَن وُجِدَ منه ذلك وَنَدِمَ عليه (**الرازي** ، **32 / 106**) . ودفع اليتيم هنا إمّا أن يكون عن إطعامه والإحسان إليه ، أو أن يكون عن حقه وماله وهذا أشد (**الأندلسي** ، **15 / 579**) ، أو ترك المواساة معه ، أو بالزجر والضرب والاستخفاف به .

وهكذا تبدو صورة (الذي يُكذّب بالدين) فهو الذي يدفع اليتيم دفعاً عنيفاً مهيناً مؤذياً، ولو كانت حقيقة التصديق قد استقرّت في قلبه ما كان ليدعّ اليتيم، فحقيقة التصديق والإيمان ليست كلمة تقال باللسان، إنما هي تَحوُّلٌ في القلب يدفعه إلى الخير والبر بإخوانه في البشرية، فصورة الكافر هذه صورة عامة إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ممّا يجعل المقصد أكثر شمولية .

وقد جاءت هذه الصورة في الآية الثانية على سبيل الإيجاز بالحذف إذ حُذِفَ الشرط ، والمعنى : إن أردت أن تعرفه ( فذلك الذي يدعّ اليتيم ) وهذا من أساليب البلاغة (**الصابوني** ، **3/ 610**) .

وهكذا صوّرت الآية الكافر من الظاهر والباطن ، فرسَمته وأبرزت له طولاً وعرضاً وجسَّمته بِغَيْظِهِ وحقدهِ وجَعَلَتْهُ شاخصاً أمام البصر لتتحقق العبرة والموعظة .

وتأتي الصورة الثانية في الآية الثالثة على سبيل الوصل بالواو ، فبعد أن كانت الأولى من باب الأفعال ، جاءت الثانية من باب التروك ، والجمع بينهما – مع أنّ الذي يُكذّب بالدين له صفاتٌ قبيحة أخرى – هو من باب الاكتفاء ، ونلمحُ التناسب بين

هذه السورة وسورة قريش التي جاءت قبلها إذ ذَمّ الله فيها الجاحدين لنعمة الله الذين ( أطعمهم من جوع ) وذَمّ في هذه السورة مَن لم يحضّ على طعام المسكين (**الزحيلي، 819/30**) .

وإذا كانت الصفة الأولى ( دعّ اليتيم ) كافية بأن تُعلِنَ عن قُبحِ (الذي يُكذّب بالدين) فكيف وقد أُضيفت عليه صفة ثانية؟ وإذا كان حال مَن تركَ حثَّ غيرِه على ما ذكر .

فما ظنّك بحال مَن تَركَ ذلك مع القدرة عليه ؟ وقد جاءت صيغة المضارع ( يحضّ ) بالتشديد أيضاً لإفادة التجدد والاستمرار والتكرار في عدم الحضّ وكأنه قد اعتاد على ذلك دوماً ، ومما يُقَوّي دلالة الاستمرار النفي بـــ( لا ) والتي أفادت امتداد معنى النفي امتداداً لا تحققه أداة نفي غيرها(**لاشين ، 1982 م : 52**) ، فيخرج مَن الوعيد مَن فعل ذلك ونَدِمَ عليه .

وقد لا يحضّ المرء في كثير من الأحوال ولا يكون آثماً ، إذ ينوب غيرُه منابه أو لأنه لا يُقبَل قولهُ أو لِمَفسَدةٍ أخرى يتوقعها .

أما هاهنا فالكافر لا يفعل ذلك لأنه مَكذّب بالديّن ، وليس الذّم عامّاً حتى يتناول مَن تركه عجزاً ، ولكنّهم كانوا يبخلون ويعتذرون لأنفسهم ويقولون {أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ اللهُ أَطْعَمَهُ}(**سورة يس : 47**)، فنزلت هذه الآية فيهم، وتوجه الذمّ إليهم، والمعنى: لا يفعلونه إن قدروا، ولا يحثون عليه إن عسروا فهذه هي صفة الكافر، فمن بخلَ باللّين في قوله كان أشدّ بُخلاً بالبذل من ماله، وقد وُصِفَ بأنه (لا يحضّ) ولم يوصَف بأنه (لا يُطعم) ذلك أنه قد منعَ اليتيم حقّه فكيف يُطعم المسكين من مال نفسه؟ بل هو بخيلُ من مال غيرِه، وهذه هي النهاية في الخسّة (**الرازي ، 106/32**). وفي الآية فنٌّ بلاغي آخر هو الاحتباك إذ ((الدعّفي الأول يدل على المقت في الثاني والحضّ في الثاني يدل على مثله في الأول )) (**البقاعي ، 1984 م : 280/22**) ، وإضافة الطعام إلى ( المسكين ) تدلّ على أحقّيته به ، فكأنه منع المسكين مما هو حقّه ممّا يُجلّي عظمة بُخلهِ وغِلظة قلبه وقساوة طبعه ، وممّا يؤكد أحقيّة المسكين بذلك هو التعبير عن الإطعام بـــ (طعام ) فالمسكين يُشارك الغني في مالهِ بقدر ما فرضَ الله من كفايته ، (( فالطعام : اسم الاطعام ، وهو اسم مصدر مضاف إلى مفعوله إضافة لفظية ويجوز أن يكون الطعام مُراداً به ما يُطعَم كما في قوله تعالى : { فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ }(**سورة البقرة : 259**) فتكون إضافة ( طعام ) إلى المسكين معنوية ، أي الطعام الذي هو حقه على الاغنياء ويكون فيه تقدير مضاف مجرور بـــ ( على ) تقديره : (( على إعطاء طعام المسكين )) (**ابن عاشور ، 566/30**) .

وهو من باب الايجاز بالحذف أيضاً ، وقد جاء نفي الحضّ كنايةً عن نفي الإطعام لأنّ الذي يشحّ بالحضّ هو بالإطعام أشح، والمسكين : الشديد الفقر ولذلك أوثر هنا لأنّ الفقير هو الذي له بُلْغَةٌ من العيش، أمّا المسكين فلا شيء له (**الصابوني ،**

**543/1**) ، فعبَّر به – على سبيل الاكتفاء – على الفريقين والصورة تجلّي حدّة الجوع الذي اقترن به حال المسكين بذكرِ طعامٍ لم يَصِلْهُ بل لم يكن حثٌّ عليه ، ومما يزيد حرارة هذا الجوع هو أنَّ الممنوع أو الذي لم يُحثّ عليه هو حقُّ أقرّهُ الخالق الذي قسَّم الرزق .

ومن الجانب الآخر للصورة تتجلّي ملامح الكافر الذي قسا وغلظ على اليتيم في دَعّه ، وبخلَ على الناس بماله ، بل بخل على المسكين فلم يُكلّف لسانه بالحث على طعامه الذي هو حقٌ يُبيّنه إيثار ( طعام ) على ( إطعام ) والذي يُصوّر المسكين وكأنه مالكٌ لما يُعطى له كما في قوله تعالى : {فِي أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّآئِلِ وَ الْمَحْرُومِ} (**سورة المعارج : 24– 25**) ، فهو بيانٌ لشدّة الاستحقاق ، فضلاً عمّا فيه من إشارةٍ للنهي عن الامتنان (**القاسمي ، 552/9**) ، وكيف يكون الحثّ على طعام المسكين من كافرٍ مُكذّبِ بالدين ، وقد بخل باللين في كلامه وقوله على اليتيم ، فأبدلَ ذلك بالدعّ ، وبخل باللين في الكلام على المسكين فلم يحضّ على طعامه ، إنها صورة غاية في البشاعة ، إذ وصفَت الكافر المكذّب بصفتين : الأولى : زجرهُ اليتيم وطرده ، والثانية : عدم الحضّ على اطعام المسكين، فلم يُحسِن في عبادة ربّه ، ولم يفعل الخير لغيره ، وجاء ذلك على سبيل مراعاة النظير وهو ( عبارة عن جمع الأمور المتناسبة ) (**الرازي ، 1985 : 113**) ، فتأتي العبرة والعظة من هذه الصورة بما فيها من صفات – وهو هدف الدعوة القرآنية ومقصد السورة – لتبتعد النفس المسلمة المؤمنة عن كل ما ورد في الصورة من صفات لتنجو بعد ذلك من الهلاك .

وتبدأ السورة بالحديث عن الفريق الآخر ، المنافقين وصفاتهم ، فيتوعّدهم الله عز وجل قبل عرض هذه الصفات بالويل : { فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (4)الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) }، هكذا على سبيل الوصل بالفاء لترتيب الوعيد على الكافرين أيضاً وما ذُكِرَ من قبائحهم ، فوضع ( المصلين ) موضع الضمير للتوصل بذلك إلى بيان أنّ لهم قبائح أخرى غير ما ذُكِر (**الشوكاني ، 674/5**) .

فابتداء الوعيد بالهلاك لكل من ذُكِرت صفاته، وكل الأوصاف الذميمة ناشئة عن التكذيب بالدين، فالمصلّون هنا هم المنافقون الذين يسهون عن الصلاة قِلّة مبالاةٍ بها، والمعنى : أنّ هؤلاء أحق بأن يكون سهوهم عن الصلاة – عَلَماً على أنّهم مُكذّبون بالدين (**الزمخشري ، 1380/2**) ، وقد جاء بصيغة الجمع ( المصلين ) في مقام ضمير الذي يكذب بالدين وهو واحد، لأنه على معنى الجمع إذ المراد به الجنس (**الزمخشري ، 2/ 1381**) ، وقد تحققّ في الوعيد بالويل ذَمٌّ وتوبيخٌ لهم ، وتنكير (ويلٌ) يفيد معناها مُطلقاً من كل قيد وهو التعظيم وزيادة الترهيب ، فضلاً عمّا في الإظهار في مقام الضمير (فويل لهم) زيادة في التقبيح

لأنهم مع التكذيب ساهون عن الصلاة وللتسجيل عليهم بأن أشرف أفعالهم وصور حسناتهم سيئات وذنوب لخلوّها من الإخلاص ، وفي ذلك تهكّمٌ بهم (**ابن عاشور ، 30/ 567**) ، ولا شك في أنّ المعنيّ بهذه الآيات أولاً المنافقون في عهد النبوّة ، ويدخل فيها ثانياً كل مَن وُجِدَ فيهم تلك الخلال الذميمة باعتبار العموم ، وقد أفادت فاء التفريع دخول هؤلاء المصلّين المنافقين في جملة المكذّبين بيوم الدين.

ويتجلى التناسب بين السورة وسابقتها إذ أمرَ الله في سورة قريش بعبادته وتوحيده { فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ } (**سورة قريش** : ( **3**))، وذمّ في هذه السورة { الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ .

أمّا التناسب بين الآية ( فويل للمصلين ) وبين ما قبلها فمن وجهين :

**الأول**: كأنه لما ذكر إيذاء اليتيم وتركه للحضّ ، كأن سائلا قال : أليس أنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر؟

فقيل له : كيف تنهى صلاة هؤلاء عن ذلك وهي مصنوعة من عين الرياء والسهو .

**والثاني**: كأنه يقول : إقدامه على إيذاء اليتيم وتركه للحضّ تقصير فيما يرجع إلى الشفقة على خلق الله، وسهوه في الصلاة تقصيرٌ فيما يرجع إلى التعظيم لأمر الله، فلمّا وقع التقصير في الأمرين فقد كملت شقاوته، فلهذا قيل : (فويل) (**الرازي ، 107/32**) ، وهذا اللفظ يُستعمل عند الجريمة الشديدة ، قال تعالى : {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ} (**سورة المطففين**: (**1**)) و{ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ } (**سورة البقرة** : **79**) و { وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ } (**سورة الهمزة** : (**1**)) ، والوعيد بالويل للمصلين من المنافقين ، وهو عام يشمل الكافرين الذين عرضت صورتهم وصفاتهم أيضاً ، ولذلك يمكن القول أن الآية تُعدّ تذييلاً (**ابن عاشور ، 30/ 567**)

– وهي بصيغة الجمع – لأنّ الذي يُكذّب بالدين واحدٌ من المتصّفين بهذه الصفة أيضاً ، ولما كان المراد بـ ( الذي ) الجنس للواحد وما فوقه ، وكان المستهين بالضعيف لضعفه يعرض عمّا لا يراه ولا يحسّه لغيبته ، وكان مّن أضاع الصلاة كان لما سواها أضيع، وكان من باشرها ربما ظنَّ النجاة ولو كان مرائياً، عبّرَ بالوصف تعميماً، وأتى بصيغة الجمع تنبيهاً على أنّ الكثرة ليست لها عنده عزّة ، لأنّ إهانة الجمع مستلزمة لإهانة الأفراد من غير عكس فقال : ( المصلين ) (**البقاعي ، 22 / 280**) .

ولما كان وصفهم بـ ( المصلّين ) تهكّماً بهم ، فقد جاء قوله ( الذين هم عن صلاتهم ساهون ) ترشيحاً لهذا التهكم (**ابن عاشور ، 30/ 567**) ، وابتدأ ذكر صفتهم بالاسم الموصول ( الذين ) استهجاناً بهم وتحقيراً لهم ولا سيما أنه جاء موصولاً بما صدر منهم من فعل على سبيل الثبوت والتوكيد ، وللموصول إيحاءٌ آخر وهو إرادة العموم

لكل من كانت هذه صفته (**السامرائي ، 2007 م : 110**) ، ويأتي ضمير الفصل ( هم ) للدلالة على أن الوارد بعده خبرٌ مؤكَّد (**الزمخشري ، 496/3**) ، فضلاً عن دلالته على قصر السهو عليهم مما استوجب تخصيص الويل لهم ، ويأتي قوله ( عن صلاتهم ) أي : (( التي هي جديرةٌ بأن تُضاف إليهم لوجوبها عليهم ، وايجابها لأجل مصالحهم ومنافعهم بالتركية وغيرها )) (**الشربيني، 594/4**) ، وإذا كانت الصفات السابقة ذُكرت بالصيغة الفعلية من مثل ( يُكذّب ) و( يدعّ ) و( يحضّ ) فإنّ الصفة هنا تُذكر بالصيغة الاسمية ( ساهون ) وهي اسم فاعل للجمع أفاد الثبوت ، فهم الغريقون في الغفلة عنها ، فالتعبير بهذا الوصف يدل على ثبوته لهم ثبوتاً يوجب أن لا يذكروها من ذات أنفسهم أصلاً (**البقاعي ، 2811/22**) .

ومما يزيد دلالة الثبوت أنّ المدعو به من الهلاك مضافٌ إلى صاحبه بلام الإضافة الدالة على حصوله وثبوته لهم (**لاشين ، 70**) ، وذلك في قوله ( للمصلين ) .

ولم يلتفت أهل التفسير إلى دلالة الحرف ( عن ) فذهبوا إلى أنّ ( ساهون ) بمعنى لاهون يتغافلون عنها فتضيع أو يضيع وقتها أو أنهم لا يصلّونها كما صلاّها النبي صلى الله عليه وسلم أو غير ذلك .

ولكن تدبّر السياق وارتباط الآية بما بعدها من قوله تعالى {الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُون} يعطينا أهمية الحرف (عن)، فنرى النذير بالويل يكبح غرور الإنسان وينهاه عن الفحشاء والمنكر، ويأخذه بالخشوع والتواضع أمام جلال الخالق وقدرنه فيتّقي الله في اليتيم والمسكين مؤديّاً حقّهما في التواصي بالمرحمة، فليس السهو عن الصلاة سهوٌ فيها، ولا ترك لوقتها ، وإنما هو سهوٌ عن حكمتها، فصلاة الذي يدعّ اليتيم ولا يحضّ على طعام المسكين لا تصدر عن قلبٍ خاشع ، وحين لا تَنهاه الصلاة عن الفحشاء والمنكر فذلك هو السهو عنها لأنها ستكون طقوساً شكلية ونفاقاً ومراءاة، فضلاً عن دلالة الحرف (عن) على المجاوزة، أي أنهم تجاوزوا إقامة الصلاة وتركوها، وإن أقاموها فعلى سبيل المراءاة (**عبد الرحمن، 189**) ، فهم يؤدّون حركات الصلاة وينطقون بأدعيتها ، لكن قلوبهم لا تعيش معها، ولا تعيش بها، وأرواحهم لا تستحضر حقيقة الصلاة وحقيقة ما فيها من قراءات ودعوات ، وإقامتها لا تكون إلاّ باستحضار حقيقتها والقيام لله وحده بها، ولذلك فليس لصلاتهم أثر في نفوسهم ، مما جعل التعبير القرآني يُضفي عليهم مزيداً من الصفات.

وإذا كانت حقيقة السهو : الذهول عن أمر سبق علمه ، فهو هنا مستعار للإعراض والترك عن عمدٍ للصلاة ولآثارها استعارة تهكمية (**ابن عاشور ، 569/30**) ، كاستعارة الغفلة للإعراض في قوله تعالى :

1- { بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِايَتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ } (**سورة الأعراف : 136**) ولا شك في أنَّ للصورة الاستعارية بُعداً نفسيّاً يتمثل في المبالغة في تحقق الصفات في المستعار له وتوكيدها وتقريرها (**ناجي ، 1984 م : 221**)، وهكذا تأخذ الصورة القرآنية أبعاداً من الصدق الفكري والشعوري والجمالي تعمق بتأثيراتها الوجدانية وطاقاتها النفسية في الأعماق الباطنة للإنسان لتعمل على تغييرها وإصلاحها وهدايتها .

وتأتي الآية السادسة:{الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ}، إذ كررّ التعبير القرآني (الذين هم) ((ولم يقتصر على مرّة واحدة لامتناع عطف الفعل على الاسم ولم يقل (الذين هم يمنعون الماعون) لأنه فعل، فحَسُنَ العطف على الفعل)) (**البروسوي، 523/10**) ، وحقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بالعبادة، وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس، ويكون في القول والمظهر وإظهار الصلاة أو تحسينها.

والمراءاة : مفاعلة من الاراءة لأنّ المرائي يُري الناس عمله ، وهم يُرونه الثناء عليه والإعجاب به ، ولا يكون الرجل مرائياً بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها (**الزمخشري ، 1381/2**) .

وقد جاء الجمع بين السهو عن الصلاة والمراءاة على سبيل مراعاة النظير ، والمراءاة هنا لا تتحدد بأمرٍ واحد ، وانما حُذِفَ المفعول للتعميم والإيجاز ، فهم يراءون بصلاتهم وغيرها لأنهم يفعلون الخير ليراه الناس لا لرجاء الثواب ولا خوف العقاب، وقد جاء الوصف بالصيغة الفعلية للدلالة على التجدد والاستمرار والحركة، وعلى أنه فعل إرادي على الدوام، أما تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي(هم يراءون) فقد أفاد تقوية الحكم وتأكيده، فضلاً عمّا في الآية من توبيخ لهم وتقريع إذ إنّ مَن اتصّفَ بذلك فلا نظرَ له لغير الحاضر فهو كالبهائِم .

ولما كان المرائي ربما يفعل قليل الخير رياءً فَيُصلّي إذا حضر ولا يُصلّي إذا غاب، بيّن القرآن أنهم قد غلبَ عليهم الشُّحّ فلم يتمكّنوا – مع كثرة الرياء منهم – أن يراؤوا بالشيء القليل، فقال عنهم (ويمنعون الماعون) أي على تجدد الأوقات، وأوجز بحذف المفعول الأول لإفادة التعميم، و(الماعون) من المِعن وهو في اللغة الشيء اليسير (**ابن فارس ، 523/10**)، وفي ذلك زجرٌ عن البخل بما قلَّ أو كثر، فإنّ البُخلَ بالقليل نهاية البخل وهو مُخلٌ بالمروءة، وهكذا فانهم لم يحسنوا عبادة ربّهم ولم يُحسنوا إلى خلقهِ حتى ولو بإعارة ما ينتفع به ويُستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم، إذ فُسِّرَ (الماعون) بالآنية كالفأس والقِدر والدلو وغيرها (**ابن كثير الدمشقي ، 555/4**) .

وقد ذكر القرطبي (**الجامع ، 212/19 – 215**) في تفسير (الماعون) أكثر من عشرة أقوال ، والوصف بـ (يمنعون الماعون) – والذي جاء على سبيل الجناس غير التام – يأتي مُكمَلاً للوصف السابق (ولا يحضّ على طعام المسكين) على سبيل ردّ العجز

على الصدر، ففيه ردٌّ لصورة المنافق على صورة الكافر، فلا حثّ ولا عطاء، وعلى تفسير (الماعون) بالطعام القليل يكون مجازاً مُرسلاً بعلاقة الآلية، إذ فسِّر بالماء والنار والملح (**الزمخشري ،2/ 1381**)، ولا شك في أنَّ المجاز المرسل يقوم بعملية تصوير موحية تتنقل بالذهن إلى آفاق من المعرفة لا يحققها اللفظ على الحقيقة، فلفظ (الماعون) جمع بين شحّ هؤلاء بالآنية وبما يُعطي بها من قليل الطعام، والتعبير بالمضارع (يمنعون) يفيد استحضار الصورة وكأن السامع يعاينها ويشاهدها .

وهكذا تشير الآيتان الأخيرتان إلى أنّ الصلاة لله عز وجل، والماعون للخلق، فمن ترك الصلاة لم يراع جانب تعظيم أمر الله، ومَن منع الماعون لم يراع جانب الشفقة على خلق الله، فاستحقَّ بذلك الويل والهلاك، ولا يخفى ما بين (يراءون) وبين (يمنعون) من طباقٍ معنوي إذ يُقابَلُ الشيء بضدّه في المعنى لا في اللفظ (**مطلوب، 1986 م : 257/2**) ، مما يُجلّي ازدواجيةً وتناقضاً داخل النفس الخبيثة إذ هي بين المراءاة (الإظهار) وبين المنع (الاختفاء)، وهكذا جمعَ المنافقون أوصافاً ثلاثة: السهو عن الصلاة، والرياء، والبُخل، وقد قال تعالى عنهم :

{ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلَوةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِلاً } (**سورة النساء : 143**)، وقال تعالى :

{ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ } (**سورة التوبة : 54**) ، فلو كانوا يقيمون الصلاة حقاً لله ما منعوا العَون عن عباده ، فهذا هو محكّ العبادة الصادقة ، فإذا لم تترك الصلاة أثرها في القلوب والأعمال فهي إذن هباء ، بل هي معصية ينتظر صاحبها سوء الجزاء ، والجمع بين الفعلين ( يراءون ) و ( يمنعون ) يُعدُّ أيضاً من مراعاة النظير .

بلاغة الفاصلة في سورة الماعون :-

أمّا فواصل السورة فلها وقعها وأثرها في النفس ، فالنون في هذه الفواصل تتناغم مع معاني الآيات وكأننا نسمع أنين اليتيم وهو يُدفَع بعنفٍ وزجر ، ونسمع أنين المسكين يتضوّر جوعاً وألماً دون طعام بل دون كلمة طيّبة وحثٌّ على المعونة ، ومن جانب آخر نسمع أنيناً من نوع آخر ، إنه أنين الكافرين والمنافقين الذين استحقوا الويل والعذاب جزاءً على التكذيب بيوم الحساب ، وعلى دعِّ اليتيم وعدم الحضّ على طعام المسكين ، وجزاءً للمنافقين على السهو عن الصلاة والمراءاة والبخل ، وعدم إعانة المحتاجين .

فالفاصلة جاءت مؤثرة بإيقاعها النوني ولتؤطّر الصور المختلفة في هذه الآيات ، والفاصلة القرآنية تَرِدُ وهي تحمل شحنتين في آن واحد ، شحنة من الواقع الموسيقي ، وشحنة من المعنى المتمّم للآية (**أمين ، 1979 م : 203**) ، وهكذا يتوالى السبك القرآني على هذا النمط المعجز في كل هذه الألوان البلاغية وغيرها ، فلكلّ كلمة دلالة خاصة في نَسَقٍ خاص ، وايحاء توحي به النظم لا يوجد إذا تغيَّر وجه التعبير والصياغة .

**الخاتمة :**

وبعد، فقد تمخضت عن البحث نتائج نجملها بما هو آت :

حاول البحث أن يجلّي الوظيفة التعبيرية والتصويرية حيث بدِت الآيات مُترعة بالظواهر البلاغية المختلفة التي احتضنت المعاني ، وكان لها أثرها في إيصال مقاصد السورة والتأثير في المتلقي ، فهي بذلك جزء مهم من بناء السورة لها أهدافها في التعبير ...

أولا : أن الماعون هو الاسم التوفيقي لهذه السورة وما سوى ذلك فهو اسم اجتهادي ، ولم يرد في فضل سورة الماعون حديث صحيح صريح ؛ ولكن يشملها فضل المفصل .

ثانياً : – أن سورة الماعون نصفها الأول مكي والنصف الآخر مدني ، بناءً على ما ذكرته من أدلة كما ورد في سبب نزولها آثار مرسلة ، ولم يصح منها شيء .

ثالثاً: – سورة الماعون من سور المفصل ، وعلى ترتيب المصحف السابعة بعد المائة من سور القرآن الكريم ، وتأتي سورة قريش قبلها ، وسورة الكوثر بعدها ، وقد بين العلماء أوجه المناسبة بينها .

رابعاً : – أسهمت الفنون البلاغية المختلفة في إيصال مضامين السورة ومقاصدها بشكل عميق ، والمقصود الأعظم لسورة الماعون هو بيان التكذيب بالجزاء والحساب هو أساس كل خلق ذميم ، وسبب رئيس لكل ذنب عظيم .

خامساً: – في هذه السورة الحث على إكرام اليتيم ، والمساكين ، والتحضيض على ذلك ومراعاة الصلاة ، والمحافظة عليها ، وعلى الإخلاص فيها وفي جميع الأعمال ، والحث على فعل المعروف وبذل الأموال الخفيفة ،كعارية الإتاء والدلو والكتاب ، ونحو ذلك لأن الله ذم من لم يفعل ذلك .

سادساً :– بيَّن المفسرون في كتبهم مجموعة من الفوائد المستنبطة من آيات هذه السورة الكريمة ، وهم ما بين مكثر ومقل ، وقد قمت بجرد هذه الفوائد وترتيبها حسب آيات السور الكريمة .

سابعاً : – من أعظم فوائد هذه السورة أن من فَرَّط في حق الخالق فلابد من أن يفِّرط في حق خلقه .

ثامناً : – الدين هو إحراز الإسلام والإيمان والإحسان ، فمَن جمع هذه الثلاث تخلّص باطنه ، فكان فيه الشفقة والرأفة والكرم و السخاء ، وتحقق بمقام الإخلاص ، وذاق حلاوة المعاملة ، وأمّا مَن لم يظفر بمقام الإحسان فلا يخلو باطنه من عُنف وبُخل ودقيق رياء ، ربما يصدق عليه قوله تعالى :

{ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ .... } .

Research Summary:
The research deals with one of the shortest suraa of the noble Quran which is surat "ALmaaun" by standing in front of and contemplating its noble text and by clarifying the rhetoricaL phenomena contained in this noble surah . The researcher relied on the analytical method in his research, and the study concluded several results, the most important of which are:1. The various rhetorical arts contributed to deeply conveying the contents and purposes of the surah. 2. One of the greatest benefits of this surah is that whoever neglects the right of the Creator must neglect the right of his creation.

المصادر والمراجع : -

1-ابن القيم وحسّه البلاغي في تفسير القرآن ، عبدالفتاح لاشين ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط1 ، 1982 م .

2-أحكام القرآن ، أبو محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف ( بابن الفرس الأندلسي) ، ت : د/ طه بن علي بوسريح وآخرون ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، 1427هـ – 2006 م .

3-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح و أولاده – مصر .

4-أسباب النزول ، للواحدي ، المحقق :كمال بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى1411 هـ .

5-أسماء سور نزول القرآن الكريم وفضائلها ، د منيرة الدوسري ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ، 1426 هـ .

6-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجنكي الشنقيطي ( ت : 1393 هـ ) ، ط : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ، عام النشر : 1415 هـ – 1995 م .

7-أيسر التفاسير ، أبوبكر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الخامسة ، 51424 .

8-البحر الحيط ، لأبي حيَّان ، المحقق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت ، 1420 هـ . 9

9-- البحر المحيط ، أبوحيان الأندلسي ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1971 م .

10- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أحمد بن محمد بن عجيبة ، تحقيق : أحمد عبدالله القرشي رسلان ، ط : الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة ، الطبعة : 51419 .

11- البرهان في تناسب سور القرآن ، لابن الزبير ، تحقيق : محمد شعباني ، وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية – المغرب ، 1410 هـ .

12– التحرير و التنوير ، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر – تونس ، 1984 م .

13- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أحمد القرطبي ، دار الكتاب العربي – القاهرة ، 1967 م .

14– الاعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق ، عائشة عبدالرحمن ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط1 ، 1982 م .

15– الاعجاز البياني في القرآن الكريم ، عمار ساسي ، عالم الكتب الحديث – الأردن ، ط1 ،2007م .

16 – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد بن عطية الأندلسي ، تحقيق السيد عبدالعال السيد إبراهيم ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر .

17 – التعبير الفني في القرآن ، بكري شيخ أمين ، دار الشروق – القاهرة ، ط 3 ، 1979 .

18– الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي ، الشركة العالمية للكتاب – بيروت ، 1989 م .

19– تفسير ابن عرفة ، محمد بن محمد ابن عرفة ، تحقيق : جلال الأسيوطي ، ط: دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة : الأولى 2008 م .

20–تفسير أبي السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود العمادي محمد بن محمد ، ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

21–التفسير البسيط ، أبو الحسن على بن أحمد الواحدي ، ط : عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة الأولى ، 51430 .

22–التفسير الحديث [ مرتب حسب ترتيب النزول ] ، دروزة محمد عزت ، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ، 1383 هـ .

23– التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة الزحيلي ، دار الفكر – بيروت .

24– التفسير الكبير ( مفاتيح الغيب ) فخر الدين الرازي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 2009 م .

25– الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد .

26–تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، ت : سامي بن محمد سلامة ، ط : طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية 1420 هـ 1999 م .

27– تفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم يونس الخطيب ، ت : دار الفكر العربي – القاهرة . 28–

تفسير القرآن الكريم ، الخطيب الشربيني ، دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت

29– تفسير روح البيان ، إسماعيل حقي البروسوي ، دار الفكر للطباعة والنشر .

30– تفسير الماتريدي ( تأويلات أهل السنة ) ، محمد بن محمد أبو منصور الماتريدي ، ت : د. مجدي باسلوم ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان ، الطبعة : الأولى ، 1426 هـ – 2005 م

31– تفسير الماوردي النكت والعيون ، أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي ، ت : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان .

32– تفسير المراغي ، أحمد بن مصطفى المراغي ، ط : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة : الأولى ، 1365 هـ – 1946 م .

33– تفسير النسفي ( مدارك التنزيل وحقائق التأويل ) ، أبو البركات عبدالله بن أحمد النسفي ، حققه وخرج أحاديثه : يوسف علي بدوي ، ط : دار الكلم الطيب ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، 1419 هـ – 1998 م .

34– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، االأولى 51420 .

35 – جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري ، المحقق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الأولى ، 1420 هـ

36 – الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، الثانية ، 1384 هـ .

37 – جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد الهاشمي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

38– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي ، الدكتور أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق .

39– الدر المنثور في التفسير بالمأثوري ، جلال الدين السيوطي ، ت : عبدالله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1424 هـ ، 2003 م .

40 – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي ، المحقق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى ، 1415 هـ .

41– صفوة التفاسير ، محمد على الصابوني ، دار الصابوني للطباعة والنشر – القاهرة ، ط 9

42– الأسس النفسية لاساليب البلاغة العربية ، مجيد عبدالحميد ناجي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر – بيروت ، ط1، 1984 م .

43– الكشاف ، للزمخشري ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، الثالثة – 51407.

44– غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، ت : الشيخ زكريا عميرات، ط : دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى ، 1415 هـ .

45– فتح البيان في مقاصد القرآن ، أبو الطيب محمد صديق خان القنّوجي، خادم العلم عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، ط : المكتبة العصريَّة للطباعة و النشر صيدا – بيروت ، الطبعة : 1412 هـ – 1992 م .

46– فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبدالرحمن عميرة، دار الوفاء، لبنان .

47– في ظلال القرآن ، دار التراث العربي – بيروت ، ط 7 ، 1971 م .

48– لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، تصحيح : محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ، الأولى ، 1415 هـ .

49– محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد القاسمي ، ت : محمد باسل عيون السود ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة : الأولى – 51418 .

50– مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل ، ت : شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد ، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، 1421 هـ – 2001 م .

51– مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ، للبقاعي ، مكتبة المعارف – الرياض ، الأولى 1408 هـ .

52– معاني القرآن ، للفراء ، المحقق : أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار و عبدالفتاح إسماعيل الشلبي ، دار المصرية للتأليف والترجمة ، الأولى .

53– معاني النحو ، فاضل صالح السامرائي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط1 ، 2007 م .

54– معجم المصطلحات البلاغية ، مطبعة المجمع العراقي – بغداد ، 1986 .

55– معجم مقاييس اللغة ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط1 ، 2001 م .

56– مفاتيح الغيب ، للرازي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الثالثة – 1420 هـ .

57– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت – 1415 هـ – 1995 م .

58– نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ، فخر الدين الرازي ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي و محمد بركات حمدي ، دار الفكر للنشر والتوزيع – عمّان ، 1985 م .